سبعة آلاف من الكيلومترات ، انهـا الدولة ذات الحضارة المسيحية التي سعت للتضحية عمـدا بالارض المقدسة »(٥٥).

اذا حاولنا ان نستعيد التعليقات والتحليلات التي قدمها الكتاب العرب للاحداث التي كانت تجري في ذلك الوقت في فلسطين لظهر لنا انها لم تتعمق للاصول والجذور . وطبيعي ان الزمن سيكون كفيلا بتوضيح ما حدث . ورغم ذلك ، فانه من المستحسن ان نشير الى ان بعض الاسباب الرئيسية للعمل العربي الهزيل في الحملة العسكرية الفلسطينية الاولى لم يكن موضع تعليق في الصحافة وربما لم يكن معروفا لدى المعلقين . واحد الامثلة هو فقدان الاستعداد الكافي في الجيوش العربية وافتقادها للمقدرة الهجومية(٥٦). وكانت نقاط الضعف في الجيوش العربية واضحة منذ الايام العشرة الاولى من التدخل العربي في ايار(٥٧). ولم يكن هناك اي ذكر في الصحافة ، على الاقل في فترة الحرب ، للفضائح التي كانت ترتكب اثناء تلك الفترة . فمثلا كانت هناك قضية المقدم فؤاد مردم ، قريب رئيس الوزراء السوري ، الذي كان في مهمة شراء اسلحة في ايطالية . وبعد ان اشترى السلاح اختطف الاسرائيليون سفينته المحملة بالاسلحة بينما كانت متوجهة الى سورية . وفي ايار وحزيران من عام ١٩٤٨ لم يرد ايضا ذكر للاجتماعات السرية التي تمت بين الملك عبد الله وبعض الزعماء الصهاينة . وهذه الاجتماعات وما اعقبها من اجتماعات اخرى ستظهر في فترة لاحقة . لقد كانت الاتصالات السرية بين القائد العسكري العربي اسميا واعدائه مجهولة تماما . الا ان هذا النقص في المعلومات في مجالات معينة لم يمنع كتاب الافتتاحيات من الحكم على الحوادث التي كانت تنكشف . لكن حكمهم كان محدودا ومتحيزا بفعل الحقائق الناقصة التي كانت في متناولهم . وفي فترة الحرب كانت الرقابة على المطبوعات عاملا آخر منع قيام مناقشات اوسع للحوادث في الشرق الاوسط .

واستطاع الكونت برنادوت ، وسيط الامم المتحدة ، ان يجري مفاوضات حول هدنة تستمر اسابيع وتبدأ في ١١ حزيران . ولا تزال اسباب قبول العرب بالهدنة موضع نقاش حتى اليوم . وقد اثيرت الاسئلة حول اسباب قبول الهدنة في عام ١٩٤٨ . وشعر عدة معلقين ان العرب قد قبلوا بالهدنة لاظهار نيتهم ورغبتهم في الدخول في مفاوضات : ان قبول البلاد العربية بوقف القتال لا يعني الضعف ، ولكنه يعني ان البلاد العربية تقدم فرصة اخرى لمجلس الامن ، وبهذا قدم العرب الدليل على رغبتهم المخلصة في التعاون مع الامم المتحدة للوصول الى حل(٥٨). واعتقد كتاب آخرون انه ربما طبق الضغط الغربي على العرب لجعلهم يقبلون بالهدنة . والمقصود هنا هو ان كون بريطانية مرتبطة بعلاقات خاصة مع مصر والعراق والاردن مارست ضغطا لتحقيق القبول . « ولانهم لم يستطيعوا ان يفعلوا غير ذلك فقد قبل العرب بالهدنة »(٥٩). اما على الصعيد العملي فقد اجمع الكتاب العرب على ادانة الهدنة الاولى . اذ ان الشعور العام ، هو ان العرب كانوا في موقع الهجوم وان قبولهم بالهدنة اثر على القوة الدافعة التي كانت تحفزهم على السير نحو النصر النهائي ، مع ان سيرهم كان بطيئا . « مساكين ايها العرب ! ما اطيب قلوبكم »(٦٠). هذا هو الاعتقاد السائد صفوف كتاب الافتتاحيات .

وبالاضافة الى ان الهدنة جعلت العرب يفقدون تلك القوة الدافعة فقد رأوا ان الهدنة كانت وسيلة مارسها الاسرائيليون لكي يزيدوا امداداتهم ويكملوا استعداداتهم العسكرية . كان هذا في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية على ابواب تل ابيب(٦١). « كل يوم يمر ، وكل ساعة تنقضي يكسبهما اليهود . ان الدولة اليهودية ستعيش بدءا من الغد ، اسابيعها الاربعة الاولى من السلام . وستضمد جراحها ، وتنظم نفسها بهدف استئناف اعمالها العدائية النهائية . ان هذه الفترة نفسها مفتوحة امام العرب . ولكن العرب كانوا ، وما زالوا حتى اليوم ، في موقف الهجوم . ونأمل ان يحافظوا على هذا لمدة شهر »(٦٢).

وبينما كانت الهدنة تمر ، انصرف الاسرائيليون والعرب لمعالجة جراحهم واستعدوا للمعركة القادمة عند انتهاء الهدنة في ٩ تموز . ولكن هذان الخصمان لم يكونا وحدهما في شغل شاغل في فلسطين . فقد كان الكونت برنادوت مشغولا بالسفر بين الاطراف المتحاربة . واخيرا اقترح خطة لحل مشكلة فلسطين . وقد تضمنت مقترحاته دمج الجزء العربي الذي حددته خطة التقسيم مع شرق الاردن . وقد دعا ايضا الى ضم القدس بكاملها الى هذه الدولة العربية التي كان يفترض ان تكون تحت سلطة الهاشميين . ومن المقترحات التي تضمنها مشروع